

إلى شفيلد مع الحب

باتريشا هاينز و بن مون تو

تمت إعادة توطين ما يقرب من ١٧٤ لاجئاً من الحدود التايلاندية البورمية في شفيلد في المملكة المتحدة فيما بين مايو ٢٠٠٥ و سبتمبر ٢٠٠٧. وكان من الممكن لو توفر قدر أفضل من الإعداد وقدمت المساعدات العملية الضرورية أن يسهم ذلك في تسهيل دمج هؤلاء في المجتمع البريطاني.

وتعمل حكومة المملكة المتحدة بالتعاون مع ثلاثة من المنظمات البريطانية - وهي المنظمة الدولية للهجرة، ومشروع اللاجئين الوافدين الجدد ومجلس اللاجئين - على تسهيل عملية إعادة توطين هؤلاء اللاجئين. وما أن تطأ أقدام هؤلاء المملكة المتحدة، حتى يقوم مجلس اللاجئين بإجراء دراساته الاجتماعية على أوضاعهم كما يضغط بتوفير الإسكان وخدمات الترجمة لهم على مدار الاثني عشر شهراً الأولى من وصولهم، وذلك بالتعاون مع دائرة خدمات شفيلد للإدماج المجتمعي والترجمة الفورية (SCAIS) وإحدى الجمعيات الإسكانية وهي جمعية الملاذ الآمن (سيف هيفين)

في يوركشاير. وبانقضاء فترة الاثني عشر شهراً، تتولى مسؤولية تقديم الدعم مكاتب الخدمات الاستشارية للمواطنين (CAB)، ومركز اللاجئين الشمالي وبرنامج البداية الأكيدة (شور ستارت) الحكومي.

ليس ثمة شك بأن إعادة توطين اللاجئين البورميين

ومنذ مارس ٢٠٠٤ والمملكة المتحدة منهمكة في إدارة فعاليات أحد برامج إعادة التوطين، والذي يعرف بالبرنامج الإطاري للحماية (GPP)، وذلك مع 'حصة من اللاجئين'، وهم اللاجئين الذين يقع عليهم اختيار المسؤولين الميدانيين بمفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين في المملكة المتحدة ويصل هؤلاء إلى المملكة المتحدة ويُمنحون هناك وضعياً قانونية دائمة. وإلى اليوم، استقبلت المملكة المتحدة من خلال هذا البرنامج أعداداً غفيرة من اللاجئين من بورما وجمهورية الكونغو الديمقراطية وليبريا ووفرت لهم المأوى في مدن مثل شفيلد و هول و نوريش.

وتنتهي غالبية هؤلاء اللاجئين إلى المجموعة العرقية الكارينية التي عاشت في مخيمات اللاجئين على امتداد الحدود التايلاندية البورمية. أما باقي اللاجئين فمن تجمعات أخرى تشمل تجمعات المون والبا أو وروهنغيا بالإضافة إلى عدد من الطلاب البورميين المعارضين للنظام العسكري والذين فروا إلى المناطق الحدودية في أعقاب الانتفاضة الوطنية التي اندلعت في عام ١٩٨٨ والذين تم اعتبارهم رسمياً أشخاصاً جديرين بالاهتمام' من قبل مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.

يتيح لهؤلاء التعساء إعادة بناء حياتهم واسترداد كرامتهم المهذرة، فمخيماتهم في تايلاند يحكمها مناخ من التسلط والصرامة في التعامل مع ما يشوبها من فجوات خطيرة في الخدمات - خاصة فيما يتعلق بالخدمات المرتبطة بالحماية والتعليم والتدريب، وكانت احتياجات اللاجئين الماسة لمن يطبب صحتهم النفسية المعتلة لا تجد من يداويها كنتيجة مباشرة لطول أمد الصراع وظروف معيشتهم في مخيمات اللاجئين. لذا كان وصول اللاجئين إلى شفيلد يعني فتح الأمل أمامهم للخروج من ربكة الظروف المئونة في المخيمات، بيد أن للمعيشة في المخيمات آثارها السيئة على عملية إعادة التوطين وهو ما ينبغي أخذه في الاعتبار عند توفير إجراءات الدعم. ورغم ما تم توفيره من بعض الخدمات الاستشارية للاجئين المعاد توطينهم، إلا أن أوقات الانتظار والصعوبات التي يلاقها اللاجئين للحصول على مثل هذه الرعاية كانت

لاجئون بورميون
تمت إعادة
توطينهم في
شفيلد في
المملكة المتحدة
يتأقلمون مع
حياتهم الجديدة
بما فيهم كاتبة
المقالة بن
مون تو



صورت بن مون

سوء تفاهم بين الطرفين وينتهي الأمر بقطع الإعانات. وإذا وجد اللاجئ من جهة أخرى إحدى الوظائف التي لا تتطلب الإلمام بمهارة معينة، فإن عجزه عن فهم لوائح السلامة والأمان قد يخلق مشكلة أخرى. وينبغي على المضطربين بتوفير الوظائف والتدريب للاجئين في المملكة المتحدة أن يكونوا على علم بأن اللاجئين الوافدين من تايلاند كانوا يعانون في الأصل من انعدام فرص العمل بها وذلك بسبب من القيود الصارمة التي فرضت على عملهم خارج المخيمات. وهنا من المهم أن يؤخذ في الاعتبار حجم ونطاق العقبات التي تواجه اللاجئين الذين يتم توطينهم في إحدى البلدان الصناعية بدون تدريب يؤهلهم لخوض سوق الوظائف.

وقد يتطلب الأمر من الكثير من اللاجئين إعادة اكتساب المهارات من جديد أو الحصول على اعتماد للمهارات التي يملكونها بالفعل - وهو الأمر الذي قد يشعرهم بالعجز ويهبط بمعنوياتهم في الوقت نفسه. فحتى عندما تتوفر لدى هؤلاء المهارات المطلوبة، فإن المتأهبة التي يتوجب عليهم خوضها للحصول على الاعتماد أو للخضوع لتدريب جديد تكون عائقاً أمامهم. وفي معرض وصفها لهذه المعاناة، تقول إحدى اللاجئين الكارينيات:

”لقد عملت لما يناهز العشرين عاماً كقابلة مؤهلة في المخيم ولكنني أشعر هنا كأني إنسانة عاجزة تعاني من إعاقة ما“.

التكنولوجيا

إن تلك النقلة من إحدى مخيمات اللاجئين التي تُحمل فيها المياه من الآبار كل يوم إلى بلد من البلدان ينعم فيه الإنسان بالحصول على احتياجاته من المياه الباردة والساخنة من صنوبر صغير هي نقلة يمكن تقبلها بسهولة. بيد أنه تقع على الجانب الآخر مشكلة عويصة تتمثل فيما يتطلبه التعامل مع أنواع أخرى من التكنولوجيا الخاصة بالتعامل مع البنوك وأجهزة الكمبيوتر والانترنت من فهم واستيعاب قد يطول أمده. فليست البنوك على استعداد لتقبل مستندات وزارة الشؤون الداخلية التي تثبت الإقامة لفتح الحسابات البنكية، وهو أمر مهم لاستلام مدفوعات الإعانة. كذلك فإن المعاملات البنكية الأساسية مثل دفع الأموال أو استخدام الماكينات الأوتوماتيكية لسحب الأموال قد ثبتت صعوبة تعلمها، فاللاجئون الذين اعتادوا التعامل بالأموال النقدية في المخيمات لم يتسنى لهم وضع ثقتهم الفورية في النظام البنكي، ويفضلون أحياناً الاحتفاظ بأموالهم معهم ليسهل أكثر الحصول عليها عند الحاجة.

وبالنسبة لبعض اللاجئين الجدد، استغرق الأمر ما يقرب من ستة أشهر للاعتياد على استخدام أجهزة وأدوات المطبخ الكهربائية. كذلك استغرق الأمر منهم وقتاً لتعلم كيفية فتح أبواب الحافلات والقطارات

التوطين، وهذه التحديات هي: مشاكل اللغة ومشاكل التعامل مع التكنولوجيا والمصاعب المرتبطة بالعيش داخل ثقافة مختلفة وبيئة جديدة.

مشاكل اللغة

على غرار ما يحدث مع الكثير من اللاجئين الجدد وطالبي اللجوء داخل المملكة المتحدة، تبرز اللغة كعائق في وجه التواصل، وذلك على الرغم مما يُقدم لهم من بعض التدريب اللغوي قبل أن يحطوا بأقدامهم على أرض بريطانيا. ورغم ما يتم في هذه التدريبات من إخبار للاجئين بأرقام هواتف الطوارئ، على سبيل المثال،

إلا أنه يغيب عن هذه التدريبات أي شروح واضحة لم يتم عليهم استخدامها هذه الأرقام وما الذي ينبغي عليهم فعله أو قوله عند الرد على مكالماتهم. كذلك فقد ظهر التواصل عند التعامل مع هيئات الإعانات باعتباره أحد المشكلات، بالإضافة إلى طائفة من المشاكل الأخرى التي يواجهها اللاجئون مثل التعامل مع المشكلات أو التعامل مع الجيران المزعجين أو شراء تذاكر الحافلات أو إتباع اللافتات المرورية واللوحات الإرشادية.

إن توفير فصول لتدريس اللغة الإنجليزية لهو أمر حيوي. ويستطيع اللاجئون الذين حطوا في بريطانيا قرب تاريخ الالتحاق بالفصول في سبتمبر أن يحجزوا لهم مكاناً بها، مع توافر الرعاية بالأطفال للمستلمين إعانات منهم. وقد قدم المتطوعون من مجلس اللاجئين يد المعاونة للمساعدة في تعليم اللغة للمتطوعين وغيرها من أشكال الدعم التعليمية الأخرى. كما تقرر أن يستحق الأطفال المسجلون في بعض المدارس خدمات الدعم المساعد للأقليات العرقية (EMAS). بيد أن أماكن استلام الدعم لم تكن قريبة من منازلهم دائماً ومن ثم كانت الحاجة تستدعي انتقالهم إليها بالحافلات، وهو ما كان يعني خوض مشاكل جديدة في التواصل.

وترتبط مشكلتي اللغة والتوظيف ارتباطاً وثيقاً ببعضهما، وهنا يطالنا قول أحد الرجال الكارينيين وهو يقول:

” لا ا تحدث الإنجليزية مما يعني أنه من الصعب عليّ العثور على وظيفة أو عمل. وعندما أُجرت هيئة الإعانات بهذه الحقيقة منعوا عني الإعانة لأنني في نظرهم لا أبذل جهداً للبحث عن وظيفة“.

ويصعب في الواقع إثبات النية في السعي للحصول على وظيفة في مثل هذه الحالات. فإذا كان المسؤول الذي يتولى مقابلتهم في مركز الوظائف من النوع الحاد المزاج، وزاد تعقيد الموقف بعدم وجود أي مترجمين في المكان، فإن هذا يضع ضغوطاً على الفرد وقد يؤدي إلى نشوء



تدريب اللاجئين الناطقة البورمية للهجرة/ MTH-19

هي المشكلة، ومن هنا كانت الحاجة لتمويل إضافي لزيادة الجهود الاستشارية المقدمة لمساعدة هؤلاء على تجاوز الجراح والآلام النفسية التي عانوا منها.

وكان من الممكن لو توفر قدر أفضل من التوجيه والمعلومات للاجئين عن حقوقهم ومستحققاتهم عند وصولهم إلى المملكة المتحدة أن يزيد ذلك من ثقتهم - مثل معرفة أن لهم حقاً في الاستعانة بمترجمين أو حقهم في طلب المساعدة. فيعد بضعة أشهر من وصولها إلى شفيدل، كانت إحدى اللاجئين التي احتاجت للمساعدة في إصلاح الكهرباء في مأواها الجديد قد علقت قائلة:

”إنني لا أرغب في الاستمرار في بث شكاوي إليهم، لأنني أخشى ردة فعلهم الغاضبة كما أخشى تجاهلهم لمطالبتي بسبب أنني دائماً الشكوى“.

ويتجلى لنا من واقع هذا التعليق كيف يشكل غياب الثقة وخوف اللاجئين من أي سلطة من أي نوع عائقاً أمام الحصول على الخدمات الأخرى الضرورية للاستقرار في مأواهم الجديد. لقد أصبحت الحاجة لقيام هيئات المعاونة في إعادة التوطين بوضع هذا الخوف في الاعتبار أكثر إلحاحاً في طور مبكر من عملية إعادة التوطين كما بات واضحاً للجميع أن فترة الإثني عشر شهراً من الدعم التي تُقدم في بداية التوطين ليست بالكافية.

ومع مرور الوقت، تشكلت لنا معالم ثلاث تحديات أساسية جلية أثناء هذه المرحلة المبكرة من إعادة

”أحد المسؤولين الميدانيين التابعين لمفوضية شؤون اللاجئين يزور المخيمات بينما تقع على اللاجئين في المخيمات مسؤولية اتخاذ قرارات مصيرية من شأنها أن تغير حياتهم للأبد دون أن تتوافر لهم أي معرفة أو حقائق عن البلدان التي بوسعهم الذهاب إليهم“.

موظفو المنظمة الدولية للهجرة مع مجموعة من اللاجئين البورمين الشباب خلال جلسة التوجيه الثقافي والاجتماعي حول الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية

خلاف أشكال المعونة التي قدمت للاجئين البورميين، نجد أن اللاجئين اللاويين والفيتناميين والخمير الذين تمت إعادة توطينهم في الولايات المتحدة أثناء عقد الثمانينات قد تلقوا تدريباً وتوجيهاً مكثفاً في اللغة الإنجليزية والثقافة الأمريكية طيلة ستة أشهر قبل مغادرتهم، وتغطي هذه التدريبات معظم القضايا التي سلطنا عليها الضوء في هذا المقال. لذا فمن الأهمية بمكان أن يوضع التوجيه الجيد لإعادة توطين اللاجئين البورميين على رأس قائمة الأولويات إذا ما رغبتنا في تحقيق حل مستديم تتوفر له أفضل مقومات النجاح.

التوصيات الخاصة بالسياسات

- توفير معلومات أفضل للاجئين حول البلدان التي من المقرر إعادة توطينهم فيها وذلك قبل وصولهم إليها.
- توفير قدر أفضل من المعلومات المفيدة والمتاحة بسهولة حول حقوق والتزامات اللاجئين عند وصولهم للبلد.
- توفير قدر أكبر من التمويل للخدمات الاستشارية المقدمة على امتداد عملية إعادة التوطين.
- مد فترة الدعم الابتدائية لتزيد عن ١٢ شهراً.
- الاستعانة بأشخاص يراعون اللاجئين أثناء المراحل الأولى لمساعدتهم على تجاوز العقبات البيروقراطية والتحديات العملية اليومية.
- إنشاء مشروعات تناول قضايا تدريب المرأة والرفع من قدراتها.
- توفير التدريب المهني المبسر للتوظيف.
- التقييم الدوري لأهداف ونجاحات البرنامج الإطارى للحماية.
- وضع أساليب طلب مشورة أخصائيي الصحة الذهنية التي تراعي الحساسيات الثقافية للاجئين.
- توفير ورش العمل التدريبية التي تناول القوانين المحلية الخاصة بحماية الأطفال والعنف الأسري عند وصول اللاجئين.

باتريشا هاينز (t.hynes@mdx.ac.uk) هي إحدى الباحثات اللائي عملن على الحدود البورمية التايلاندية فيما بين عامي ١٩٩٦ و ٢٠٠٠. أما ين مون تو (soa.vymt@sheffield.ac.uk) فقد سحرت له فرصة مع الوفود الجديدة من اللاجئين في شفيلد منذ عام ٢٠٠٥.

تقوم هذه المقالة على الملاحظات واللقاءات والتجارب التي خاضها مؤلفها ولا تعكس بأي حال من الأحوال آراء أي منظمة من المنظمات.

١ من حديث أجري مع أحد موظفي إحدى المنظمات غير الحكومية على الحدود البورمية التايلاندية، مارس ٢٠٠٧.
٢ www.iomlondon.org

يلعبها كل جنس وتغير العادات الثقافية. فبالنسبة لواحدة من النساء البورميات أو الكارنليات، تُعد مصافحة أحد لها بالأيدي أو احتضانه لها، خاصة إذا كان هذا الغريب ينتمي للجنس الآخر، أمراً غير مهضوماً لها أبداً. كما أن رؤية البعض وهم يتبادلون القبلات الحارة في الأماكن العامة أو النساء والفتيات الصغيرات وهن يرتدين التنورات القصيرة يصيب الوافدين الجدد بالصدمة، سواء كانوا رجالاً أو نساءً، وذلك على نحو ما يمكن أن نستشعره من تعليق أحدهم والذي يقول فيه:

”إنني أشعر بالفعل بحرج بالغ عندما أرى بعضهم وهم يتبادلون القبلات أمامي في موقف الحافلات وأتلفت محتاراً بحثاً عن مكان أشيح إليه بوجهي.“

إن معرفة اللاجئين بأن الصحة والتعليم مجانيان لهو في ذاته يحمل معالم البشرى بيد أنه يتطلب من اللاجئين التواءم مع عدد من الأعراف المختلفة - مثل تلك الخاصة بالعناية بالأم فيما قبل الولادة وبعدها. فالنساء البورميات كن يتلقين العناية بهم بعد ولادتهن بالبقاء في منازلهن لمدة ٤٥ يوماً وإتباع بعض الإجراءات الصحية المعينة مثل تناول الأطعمة قليلة التوابل؛ هذا في حين أن تركيز هذه العناية على اكتئاب ما بعد الولادة لم يكن بالشيء الذي اعتدنه النسوة البورميات من قبل! وعلاوة على ذلك، فقد كانت مواعيد الذهاب المحددة مع الأطباء مفهوماً جديداً عليهم، وقد نما داخل مجتمعهم بعد تكرار إخفاقهن في المحافظة على مواعيدهن مع الطبيب عبارة جديدة هي 'إما أن تفعليها (تذهبي إلى الطبيب في الميعاد) أو تلغيها'.

إن جميع مظاهر الاكتئاب والوحدة وغياب الدعم الاجتماعي كانت كلها بادية على اللاجئين في الأشهر الأولى لهم بيد أنه يظل ذلك الخجل من مناقشة صحتهم الذهنية حيث كانوا يستعصون عن طلب استشارة الطبيب النفسي بتناول الحبوب المهدئة. ويرجع ذلك في جانب منه إلى أن المترجمين يأتون عادة من الوسط المنتمين إليه وكذلك خوف اللاجئين من جعل مشاكلهم مشاعاً ليلوكها الناس بألسنتهم.

ويجري توفير المعلومات للاجئين حول القوانين الخاصة بحماية الأطفال والعنف الأسري قبل وصولهم إلى بريطانيا إلا أنه وجد أن التباعد الوخيمة لعدم الالتزام بهذه القوانين لم يتم تفهماها بالكامل، وتتطلب ورش العمل التي وضعت لمناقشة هذه القضايا أسلوباً حساساً في التعامل معها بيد أنه لا يمكن الاستغناء عنها في المساعدة في عملية إعادة التوطين.

إن التحدي المتمثل في تنمية الإحساس بالانتماء وفي نفس الوقت الحفاظ على الهوية المتجذرة في العادات والتقاليد البورمية ليس بالتحدي السهل. فعلى

واستخدام مصادع البناءات. وكان من الممكن لو وضع نظام من المتطوعين لتقديم المساعدة أثناء هذه المراحل الابتدائية من إعادة التوطين أن يعين ذلك اللاجئين على التعامل مع هذه التحديات اليومية.

كذلك فإن بقاء أدوار كل من الجنسين بلا تغيير بالنسبة للقادمين حديثاً إلى بريطانيا مع وجود الحاجة للطهي وغسيل الملابس وإطعام الأطفال والتنظيف والتسوق كل هذا كان يعني أن أمام النساء فرصاً أقل لتنمية هذه المهارات أو زيادة حصيلتهن من التعليم، وهنا من شأن المشروعات الرامية لتلبية هذه الحاجة بالإضافة إلى الحاجة لإكساب النساء مهارات أكبر أن تكون ذات عون كبير لهن. أما بالنسبة للنساء الأكبر سناً، فإن بناء ثقتهن في استخدام التكنولوجيا هو أمر في غاية الأهمية.

كانت معظم الاعتبارات السابقة قد تم توثيقها بالفعل ومن ثم ينبغي أن يكون الكثير منها معلوماً للجميع. وكان العجز عن التعامل مع هذه الاعتبارات بشكل مبكر قد ساهم في انكماش العالم الاجتماعي للاجئين البورميين أكثر فأكثر. وبسبب المشاكل التي تعترض اللاجئين في وسائل المواصلات واستعمال التكنولوجيا، فقد ترسخ لدى البعض منهم خوف من الخروج من منازلهم وابتوا يعتمدون كلية على الأفراد الآخرين للمجموعة. ولذا ليس بمدهاة للدهشة أن نلاحظ هذه الرغبة لديهم في العيش بالقرب من أقرانهم من اللاجئين البورميين الآخرين والتي نجدها أشبه ما يكون بالجهود الذي بذلته المجموعات السابقة من المهاجرين في هجرتهم الثانية لكي يكونوا بالقرب من بني جلدتهم.

ثقافة وبيئة مختلفتان

”كيف الحال يا حُبِّي؟“

لا يجد اللاجئين الوافدون إلى شفيلد غرابية في كلمة 'الحب' باللغة الإنجليزية، حيث يرتبط مفهوم الكلمة في أذهانهم بالعلاقات الشخصية. بيد أنهم يُفاجئون عند وصولهم إلى شفيلد أن الناس يضعون هذه الكلمة في نهاية عبارات التحية في حين أن الكثيرين منهم لا يبدون ارتياحاً مع هذا الأمر. فعلى الرغم مما يتطلبه هذا الأمر في ظاهره من مجرد تعديل بسيط في ثقافة المرء، إلا أن الكثيرين من الوافدين الجدد كانوا يجدوا عنتاً في تقبل هذا الأمر بسهولة.

فبعد انجلاء الصدمة الأولى والتكيف مع طقس المملكة المتحدة، يجيء الدور على محاولة فهم القوانين والأنظمة والقواعد غير المدونة المنظمة للمجتمع الجديد والتواءم معها، ذلك أن عدداً منهم تجابه خسارته لوضعيته الوظيفية (خاصة بالنسبة لهؤلاء الذين كانوا يتمتعون بوظيفة وعمل كامل داخل المخيمات) وتبدل الأدوار التي